

العدول في سورة النحل: صورته وأغراضه البلاغية

د/ محمد عبدالله عباس محمد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
قسم علوم القرآن عام- كلية التربية
جامعة تعز
ت/ ٧٣٤٥٣٨٦٦٤
٧٣٨١٤٠٦٥٢ واتساب

ملخص البحث

العنوان: العدول في سورة النحل: صورته وأغراضه البلاغية

يهدف هذا البحث إلى التعرف على أسلوب العدول في سورة النحل، وتنوع صورته ودلالاتها البلاغية التي تعين المفسر على فهم آيات القرآن الكريم. إذ تعدّ ظاهرة العدول من أكثر الظواهر البلاغية تردداً وأوسعها انتشاراً في القرآن الكريم، كما اشتملت صور العدول على أسرار بلاغية، مما دعان إلى خوض غمار هذا البحث. وقد توصل الباحث إلى أنّ العدول وجه من وجوه الصياغة يقتضي مخالفة السياق الأصلي الذي ورد فيه مخالفة لفظية.

- تنوع صور ودلالات العدول البلاغية في سورة النحل بما يتناسب مع السياق، وحال المكلفين بفهم القرآن. فقد شملت: صورة التفات الضمائر، والعدول في الصيغ، والعدول في الجمل (العدول النحوي)، والعدول العددي.

الكلمات المفتاحية: التفات - سورة - صور - أغراض - بلاغية.

The title : Al-odool in sura Al-Nahl : Its images and rhetorical purposes.

The purpose of this research is to identify the method of the turning in surah Al-Nahl, the diversity of its images and its rhetorical implications, which help the interpreter to understand the verses of the Holy Quran .The phenomenon of the turning is one of the most frequent and widespread rhetorical phenomena in the Holy Quran. The turning images also included rhetorical secrets , which led to the study.

- The researcher concluded that the turning method is an aspect of the wording , and it requires a violation of the original context in which we find the verbal violation.
- The diversity of the rhetorical images and signs of the turning in Surah Al-Nahl in proportion to the context, and the case of those charged with understanding the Qur'an.

Opening words : odool , sura , images , purposes , and rhetorical.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آل محمد وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ القرآن الكريم قد اشتمل على أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، ونزل متحدياً العرب الذين بلغوا مرتبة رفيعة في البلاغة والبيان، فلم يستطع أحد أن يأتي بمثله. وقد تضمن القرآن أسراراً وأساليب بلاغية في كل سوره، كانت محط اهتمام المفسرين والبلاغيين قديماً وحديثاً.

ومن هذه الأساليب أسلوب العدول الذي لا تكاد تخلو سورة منه، وقد تركز اهتمامي على هذا الأسلوب؛ لما له من أهمية بالغة في التفسير والترجيح بين المعاني. فقد أولاه المفسرون اهتماماً بالغاً في البلاغة العربية عموماً وفي القرآن الكريم خصوصاً.

ويأتي هذا البحث واحدة من هذه الدراسات التي ندعو إليها كمحاولة منا لخدمة القرآن الكريم، في مجال الإعجاز البلاغي؛ لإبراز روعة البيان القرآني في أسلوب العدول، وتنوع صوره ومعانيه، وذلك من خلال عمل دراسة تطبيقية لسورة النحل المكية؛ لوفرة الالتفات فيها، وتنوع السياق بين السرد والحوار والمخاطبة.

١. أهمية الموضوع وأسباب اختياره

ترجع أهمية الموضوع المدروس وأسباب اختياره إلى الآتي:

١. رغبة الباحث في خدمة القرآن الكريم في جانب الإعجاز البلاغي.
٢. إثراء المكتبة القرآنية بإضافة هذا البحث المتواضع إلى جهود السابقين الذين كتبوا في بعض جوانب إعجاز القرآن وأغفلوا جوانب أخرى.
٣. تسليط الضوء على أسلوب العدول عند البلاغيين والمفسرين، وبيان قيمته الجمالية والدلالية، وإبراز إعجاز القرآن.
٤. التحولات السياقية اللفظية في سورة النحل، وخروجها عن المألوف دفعت الباحث لدراسة هذه السورة دراسة بلاغية خصوصاً ما يتعلق بأسلوب العدول؛ لإبراز صوره وأغراضه البلاغية.

٢. إشكالية البحث:

تمثلت الإشكالية في سؤالين هما:

الأول: هل الضمائر هي السمة المميزة للعدول في سورة (النحل) أم هناك صور أخرى غيرها ؟

والثاني: ما الأغراض البلاغية التي تضمنها أسلوب العدول في بناء النظم القرآني في سورة النحل؟

٣. المنهج المتبع: تكاملت مجموعة من المناهج لإنجاز هذا البحث تمثلت في المناهج الآتية: الاستقرائي والوصفي والتحليلي من خلال إحصاء شواهد العدول المختلفة في سورة النحل، ثم دراستها وبيان الأغراض البلاغية منها.
٤. الدراسات السابقة

من خلال اطلاعي المتواضع لم أجد رسالة أو بحثاً تكلم عن العدول في سورة النحل، وما وجدته هو مقالات منشورة على صفحات الإنترنت، مما يؤكد اختلاف هذا البحث عما جاء فيها؛ لأن ما ذكر في هذه المقالات لم يستوعب صور العدول كاملة في سورة النحل، بل جاءت أمثلة مختارة منه على كل صورة، ثم إن ما كُتب فيها لم يوثق توثيقاً علمياً كما هو المعمول به في نظام الرسائل والأبحاث العلمية.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى: مقدمة ومطلبين وخاتمة.

المقدمة بينت فيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته والإشكالية، وخطة البحث والمنهج المتبع في إنجازها، والدراسات السابقة.

المطلب الأول: العدول - سورة النحل: مفاهيم ودلالات

ويأتي المطلب الثاني ل: صور العدول وأغراضه البلاغية

خاتمة: تضمنت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المطلب الأول: العدول - الالتفات - سورة النحل: مفاهيم ودلالات

أولاً. العدول: تعريفه - دلالاته التفسيرية

١. العدول لغة: العدل ضد الجور، وعدل عن الحق إذا جار عدولاً. وعدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً: حاد. والعدل: الاستقامة، وعدل إليه عدولاً: رجع. وعدل عن الطريق نفسه: مال (١). فهذه المعاني اللغوية تشير إلى الانحراف والتحول عن الشيء إلى غيره.

العدول اصطلاحاً: فهو ميل عن النظام أو الأصل اللغوي (٢). ويعرفه التهانوي بقوله: وهو عند النحاة: "خروج الاسم عن صيغته الأصلية تحقيقاً أو تقديراً إلى صيغة أخرى" (٣). فالمعنى الاصطلاحي لا يختلف عن المعنى اللغوي إلا قليلاً.

ويمكن أن نقول في تعريفه اصطلاحاً: بأنه الانتقال من أسلوب إلى آخر لنكتة بلاغية بهدف إفادة السامع وطرده الملل والسآمة عنه.

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ١١/٤٣٠-٤٣٢.

(٢) ينظر: هنداوي، عبد الحميد: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، ص: ١٤١.

(٣) التهانوي، محمد بن علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ١١٦٩/٢.

٢. دلالاته التفسيرية: لمادة (عدل) مساق دلالي عند النحويين والبلاغيين والمفسرين، وسأركز على مساقها عند المفسرين، منها: ما ذكره بعض المفسرين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَخِجْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحِ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ...﴾ (النساء: ٢٥). بقوله: "ومن هذه الآية الكريمة استدل جمهور العلماء في جواز نكاح الإماء على أنه لا بد من عدم الطول لنكاح الحرائر ومن خوف العنت لما في نكاحهن من مفسدة رقّ الأولاد، ولما فيها من الدناءة في العدول عن الحرائر إليهن" (١).

ويقول القرطبي في مسألة تنصيب الإمام المفضول مع وجود الفاضل: "إذا خيف بإقامة الأفضل الهرج والفساد وتعطيل الأمور التي لأجلها ينصب الإمام، كان ذلك عذراً ظاهراً في العدول عن الفاضل إلى المفضول" (٢).

ويقول الشوكاني: "إنّ العدول عن دعاء القادر إلى غير القادر أفتح وأقبح" (٣).

٣. أقسام العدول: العدول كما هو عند البلاغيين أربعة أنواع:

١. العدول في الضمائر (الالتفات).

٢. العدول في الصيغ الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول.

٣. العدول النحوي التركيبي: الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

٤. العدول العددي (المفرد والمتى والجمع) (٤). وهذا ما سنحاول تطبيقه على سورة النحل.

٤. شروط العدول

اشتراط البلاغيون في العدول شرطين:

الأول: وجود تعبيرين يستخدم في ثانيهما طريق مغاير لطريق الأول (٥).

فهذا الشرط هو الأساس في أسلوب العدول؛ لأنّ التعبير بالمخاطبة ثم الانتقال إلى الإخبار أو التكلم فيه من الحسن ما فيه، من حيث تنشيط ذهن السمع، ومناسبة السياق الحالي والمقامي، ومراعاة نظم الخطاب.

ومن الأمثلة على ذلك قول: امرئ القيس

ونام الخلى ولم يرقد

تطاول ليك بالأيثم

كليلة ذي العائر الأرمد

وباتت له ليلة

وخبرته عن أبي الأسود (٦)

وذلك من نبأ جاني

فلاحظ في هذه الأبيات والتي من قصيدة: (تطاول ليك) كيف خاطب في البيت الأول ثم انصرف إلى الإخبار في البيت الثاني، ثم انصرف من الإخبار إلى التكلم في البيت الثالث (٧).

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٦٧.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١/٢٧١. وينظر المسابقات الدلالية والنحوية والبلاغية للعدول في: العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة ماجستير، لصاحبها: جلال الحمادي، إشراف: أ.د. عباس السوسوة، جامعة تعز، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. ص: ١٦-٢١.

(٣) فتح القدير: ٢/٥٤٢.

(٤) ينظر: أبو العدوس، يوسف: البلاغة والأسلوبية: ص: ٧٧. وينظر: ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ١/٩٨٣. وينظر: حسن، طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص: ٥٧-١١٠.

(٥) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢/١٣٥-١٤٦.

(٦) ديوان امرئ القيس: ص: ٨٧.

(٧) ينظر: الصاوي الجويني، مصطفى: البلاغة العربية: تأصيل وتجديد، ص: ١٨٦.

الثاني: مخالفة التعبير الثاني مقتضى ظاهر الكلام ومرتقب السامع(١). فالعدول كما هو معروف في كتب البلاغة والتفسير له وظيفة بيانية عامة وخاصة، فالعامة تتمثل في تلوين الخطاب، وتنشيط ذهن السامع؛ لأنّ الانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر فيه تجديد لحركة الذهن، وترويحاً على المشاعر. وهذا عام يشمل كل صور العدول. يقول الزمخشري: "تلك على عادة افتنانهم في الكلام، وتصرفيهم فيه، ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من أجرائه على أسلوب واحد"(٢).

ثانياً: الالتفات

١. تعريف الالتفات لغة واصطلاحاً:

الالتفات لغة:

بالنظر في معاجم اللغة نجد تعريفات متعددة للالتفات منها: اللام والفاء والتاء كامة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء على جهته المستقيمة منه، ويقال: لفتُ الشيء: لوينته، ولفتُ فلاناً عن رأيه: صرفته، ومنه الالتفات: وهو أن تعدل بوجهك وكذلك التلفت. ويقال أيضاً: ولفته يلفته: لواه وصرفه عن رأيه، ومنه الالتفات والتلفت. وقال ابن منظور: لفت وجهه عن القوم صرفه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه... وأصل اللفت: ليّ الشيء عن الطريقة المستقيمة. وفي الحديث: "إنّ الله يبغض البليغ من الرجال الذي يلفتُ الكلام كما تلفت البقرة الخلى بلسانها(٣). ومنه قوله تعالى: أجبنتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا يونس/٧٨. فقدورد في تفسيرها: "أي تثبينا عما وجدنا عليه آباءنا، أي: عن دين آباءنا"(٤).

وفسرها الثعالبي بقوله: "وقولهم(لتلفتنا) أي لتصرفنا وتردنا وتلوينا وتردنا عن دين آباءنا، يقال: لفت الرجل عنق الآخر إذا لواه"(٥).

الالتفات اصطلاحاً:

تنوعت تعريفات البلاغيين والمفسرين للالتفات تبعاً لتعدد التعريفات اللغوية؛ وذلك لاحتمال الأصل اللغوي معاني ودلالات بلاغيةً حقيقيةً وأخرى مجازيةً.

ومن التعريفات المشتهرة للالتفات اصطلاحاً: "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك من الالتفات والانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"(٦).

وعزفه الزركشي بقوله: "هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرازا للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد، على سمعه، كما قيل لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التثقل من حال إلى حال"(٧).

(١) ينظر: أبو العدوس، يوسف: البلاغة والأسلوبية، ص: ٧٧.

(٢) الكشاف، ١٤/١.

(٣) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ٨٥/٢.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٢٤٨/٤.

(٥) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ٢٥٩/٣.

(٦) البديع: ابن المعتز، ص: ١٥.

(٧) البرهان في علوم القرآن: ٣٨٠/٣. وينظر: الإتيقان في علوم القرآن: السيوطي، ٢٨٩/٣.

وهو عند الفخر الرازي(ت:٦٠٦هـ): العدول حيث قال: "وقيل إنه العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو العكس..."(١).

ويُعرف الالتفات في اصطلاح البلاغيين بأنه: "التعبير عن معنى بطريقة من الطرق الثلاثة-التكلم والخطاب والغيبة- بعد التعبير عنه بطريقة آخر منه"(٢). فالالتفات بهذه المعاني يعد من محاسن اللفظ، ورونق الأسلوب، ودقة الدلالة على المعاني.

من التعريفين اللغوي والاصطلاحي ندرك أنّ الالتفات أسلوب بلاغي بديع، يعني الانتقال من صورة إلى أخرى تشويقاً للسامع، وقد كثر وروده في القرآن الكريم وتنوعت وجوهه، كما تنوعت دلالاته البلاغية.

ثالثاً: بين يدي سورة النحل

أ. بين يدي سورة النحل: سورة مكية في قول الجمهور، وهو عن ابن عباس وابن الزبير. وقيل إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٦) إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.... وَعَنْ قَتَادَةَ وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّ أَوَّلَهَا مَكِّيٌّ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا [سورة النحل: ٤١]، وما بعدها مدني إلى آخِرِ السُّورَةِ. وسميت سورة النحل، لأن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى، وعن قتادة أنها تسمى سورة النعم-بكسر النون وفتح العين-... (٣). وقال ابن عطية: سميت السورة بهذا الاسم لما عدد الله فيها من النعم على عباده(٤).

وهذه السورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة السجدة. وقد عُدَّت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور. وآياتها مائة وثمان وعشرون بلا خلاف.

ب. مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

إن آخر سورة الحجر شديد الارتباط بأول هذه السورة، فإن قوله تعالى في آخر السورة السابقة: فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ يَدُلُّ عَلَى إثبات الحشر يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا، وكذلك قوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) يدل على ذكر الموت، وكل من هاتين الآيتين ظاهر المناسبة لقوله هنا في أول السورة: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ فِي الْحَجَرِ أَتَى بِقَوْلِهِ: يَأْتِيكَ بِلَفْظِ الْمَضَارِعِ، وَهَذَا أَتَى بِلَفْظِ الْمَاضِي لِأَنَّ الْمَرَادَ بِالْمَاضِي هُنَا: أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْآتِي الْوَاقِعِ، وَإِنْ كَانَ مُنْتَظَرًا، لِقَرَبِ وَقُوعِهِ وَتَحَقُّقِ مَجِيئِهِ.

وكذلك ترتبط هذه السورة بسورة إبراهيم لأنه تعالى ذكر هناك فتنة الميت، وما يحصل عندها من الثبات أو الإضلال، وذكر هنا (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ) [٢٨، ٣٢] وما يحصل عقب ذلك من النعيم أو العذاب. وذكر أيضا النعيم في سورة إبراهيم، وقال بعده: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) [٣٤] وكررت الآية نفسها هنا [١٨] وذكر هنا أنواع النعم المختلفة(٥).

ج. أغراض السورة:

(١) الرازي، فخر الدين: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص: ١٧٢.

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، محمد بن عبدالرحمن بن عمر، ٨٥/٢.

(٣) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٩٣/١٤.

(٤) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٦٥/١٠.

(٥) ينظر: الزحيلي، وهبة: التفسير المنير، ١٤/٧٩-٨٠. وينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ٥٠٢/٦.

سورة النحل إحدى السور المكية التي يدور محورها حول العقيدة من حيث إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته. وأدلة إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وإنزال القرآن عليه (عليه الصلاة والسلام)، وإن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم عليه السلام، وإثبات النبوة والجزء فابتنبت بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزئون به، وتلا ذلك قرع المشركين وزجرهم على تصليبهم في شركهم وتكذيبهم، وغيرها من الأغراض التي ذكرها المفسرون لهذه السورة.. (١).

المطلب الثاني: صور العدول في سورة النحل

تعددت صور العدول في سورة النحل مؤدية أغراضا بلاغية تتناسب مع السياق، وفي هذا المطلب سأحاول ذكر هذه الصور ومواطنها في هذه السورة فأقول وبالله التوفيق:

الصورة الأولى: العدول في الضمائر (الالتفات)

أولاً: العدول من الخطاب إلى الغيبة

١. منه قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١) على قراءة الجمهور فيها عدول من الخطاب (فلا تستعجلوه) إلى الغيبة (يشركون) وكان الأصل في السياق -عما تشركون- فقد جاء هذا العدول تحقيراً لشأن المشركين الذين استعجلوا ما أوعدهم الله به من قيام الساعة أو إهلاكهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكديبا ويقولون إن صح ما يقوله فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه. وخطا من درجتهم عن رتبة الخطاب، وحكاية لشناعتهم التي يتبرأ منها العقلاء. باختلاف المقامين اقتضى تنوع السياق في الآية. فالمقام الأول وهو أتى أمر الله يناسبه الخطاب للمؤمنين والمشركين؛ لأنه عام، أما المقام الثاني فهو خاص بالمشركين. كما أن العدول هنا فيه إشارة إلى الحط من قدرهم وتبرأ من أن يكونوا أهلاً للخطاب فجاء بضمير الغيبة الذي يفيد تحقير شأنهم وكشف فضائحهم ومنها الشرك المستمر المعبر عنه بالفعل المضارع "يشركون". (٢).

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَايَا أَن تُبِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥-١٦). العدول في قوله (وبالنجم هم يهتدون) ضمير الغيبة بعد إظهار الخطاب في قوله: (لعلكم تهتدون) فقد التفتت عن الخطاب (لعلكم تهتدون) إلى الغيبة (وبالنجم هم يهتدون) لدلالة بلاغية هي التثنية بكفار قريش، فقد أنزلهم منزلة الغائب تحقيراً لهم وإزدراء على عدم شكرهم المنعم. فهم أصحاب السفر في طلب التجارة، وهم الذين كان لهم اهتداء بالنجوم في مسابريهم، فكان لزاماً عليهم شكر الله تعالى والاعتبار بدقائق خلقه (٣).

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرَّزْقِ ۗ وَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَازِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۗ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (النحل: ٧١). العدول في قوله تعالى: (يجحدون) بصيغة الغيبة على قراءة الجمهور بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (فضل بعضكم على بعض)، ولو كان الكلام على نسق واحد في غير كلام الله لكان الأصل أن يقول: تجحدون مناسبة لسياق الكلام ولكنه عدل لغرض بلاغي وهو التوبيخ، يقول ابن عاشور: "وَعَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ يَكُونُ فِي

(١) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٩٤/١٤-٩٥.

(٢) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ١٩١/٢٠. والزمخشري: الكشاف، ٥٩٩/٢. وأبو حيان: البحر المحيط، ١٦/٦.

(٣) ينظر: طنطاوي، جوهري: الوسيط في تفسير القرآن، ١٠١/٨. والبيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢١٩/٣. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، ٩٤/٥. و أبو حيان: البحر المحيط، ٥٠٣/٦.

يَجْحَدُونَ عَلَى قِرَاءَةِ الْجُمُهورِ بِالتَّحْتِيَةِ النِّقَاتِ مِنَ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ. وَنُكِّنْتُهُ أَنَّهُمْ لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ الْمَشْرِكِينَ فَكَانُوا مَوْضِعَ التَّوْبِيخِ نَاسَبٌ أَنْ يُعْرَضَ عَنْ خُطَابِهِمْ وَيُنَالَهُمُ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّوْبِيخِ بِالْعَرِيضِ" (١).

٤. ومنه العدول في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخَلَّقُونَ﴾ (النحل: ١٨-٢٠) العدول في قوله تعالى: (والذين يدعون) على قراءة يعقوب وحفص بصيغة الغيبة بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (وإن تعدوا- لا تحصوها - تسرون- تعلنون) وكان الأصل أن يقول: والذين تدعون. وهذا العدول له غرض بلاغي يفهم من سياق الآيات السابقة واللاحقة وهو التهديد والوعيد على كفران النعم مع أن المقام مقام امتنان (٢).

٥. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَلِمَةٌ مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا ۗ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونٍ بِسَبْرِ مُخْتَلِفٍ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِمَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٦٩). العدول في قوله تعالى: (يخرج من بطونها) بصيغة الغيبة، بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (ثم كلي- فاسلكي سبل ربك)، وكان مقتضى السياق أن يقول: يخرج من بطونك، فإن قيل: لماذا عدل السياق من الخطاب إلى الغيبة؟ بنظرة تدريجية بلاغية لهذه الآية ندرك الغرض البلاغي لهذا العدول لفت الانتباه إلى أهمية العسل بالنسبة للبشر. ولو قال يخرج من بطونك لذهب هذا المعنى البلاغي الذي أنتجه خطاب الغيبة (٣).

٦. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: ٧٢). العدول في قوله تعالى: (أفبالباطل يؤمنون وبعمت الله هم يكفرون) فقد جاء بصيغة الغيبة بعد صيغة الخطاب في قوله تعالى: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بين وحفدة ورزقكم من الطيبات)، وكان أصل السياق أن يقول (تؤمنون- تكفرون)- وهذا العدول له دلالة بلاغية ذكرها بعض المفسرين هي الإعراض عن الكافرين بسبب ضلالهم، وذلك بعد أن امتن الله عليهم بالمنكوحات والمطعمات، لكن المشركين أشركوا في عبادته وهو المنعم المتفضل عليهم، وأضافوا هذه النعم إلى غيره، فناسب المقام العدول من الخطاب إلى الغيبة ليعم الإنكار كل من أنعم الله عليهم من المخاطبين وقت نزول القرآن، ومن يأتي بعدهم، فالكفر والجحود متجددان بديل مجيء الفعل المضارع في: يؤمنون ويكفرون، ولن يتحقق هذا المعنى بغير أسلوب العدول. يقول أبو السعود: "والانتقالات إلى الغيبة للإيدان باستيجاب حالهم للإعراض عنهم وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيباً لهم مما فعلوه" (٤).

٧. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٨١-٨٢). العدول في قوله تعالى: (فإن تولوا) بعد حكاية الخطاب في قوله تعالى: (والله جعل لكم- تقيكم- تسلمون) وكان مقتضى السياق أن يقول: فإن توليتم، لكنه سبحانه وتعالى عدل إلى الغيبة، لنكتة بلاغية هي تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) عن عدم استجابتهم، والإعراض عنهم لعدم تقبل قلوبهم الضالة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فلا قصور من جهته، وهو الذي بلغه أتم بيان وأوضحه، بما لا مزيد عليه (٥).

(١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١٦/١٤.

(٢) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٢٥/١٤. والخطيب/ عبدالكريم: التفسير القرآني للقرآني، ٢٨٣/٧.

(٣) ينظر: صافي، محمود بن عبدالرحيم: الجدول في إعراب القرآن، ٣٥١/١٤. وينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٢٦٣/٧.

(٤) إرشاد العقل السليم، ١٢٨/٥. وينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٢٠-٢٢١.

(٥) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٤١/١٤. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، ١٢٣/٥.

٨. ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُلْحِقُونَ﴾ (النحل: ١١٦) فالعدول في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ) بصيغة الغيبة بعد قوله تعالى: (وَلَا تَقُولُوا) بصيغة الخطاب، فالعدول هنا طابق مقتضى الحال فالأول خطاب للمؤمنين فناسب تحذيرهم بخاطبهم مباشرة، والثاني إخبار للمؤمنين بجزاء من يفترى، وهنا نلاحظ دقة التعبير القرآني واستعمال هذا الأسلوب البلاغي في التفريق بين الخطابين. إذ لو استمر السياق على سابقه لقال إنكم افتريتم وحاشا للمؤمنين أن يفترؤا على الله كذبا (١).

ثانيا: العدول من الغيبة إلى الخطاب

١. شاهد ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ شَوْءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٢٨). العدول في قوله تعالى: (بما كنتم تعملون) بصيغة الخطاب بعد أسلوب الغيبة في قوله تعالى: (تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم)، وكان مقتضى السياق أن يقول: بما كانوا يعملون، ولكنه سبحانه عدل إلى مواجهتهم بالخطاب لحكمة اقتضتها طبيعة النص وهي أن المواجهة فيها زيادة توبيخ لهم لإشراكهم مع الله غيره في عبادته. وتحقق وقوع ما يستحقه الظلمة من الخزي والإهانة، ففي العدول إلى الخطاب مواجهة قوية وتأثير في النفوس عجيب، ولا يتحقق هذا بغير العدول (٢).

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۖ فَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٥٥). العدول في قوله تعالى: (فتمتعوا... تعلمون) بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (ليكفروا - آتيناهم)، وكان الأصل أن يأتي بقوله فيتمتعوا - يعلمون بالتحنية، وبنظرة تدبرية بلاغية للآية نجد لهذا العدول سرا وغرضا بلاغيا هو أن الآية في سياق المواجهة، وهذا المقام يناسبه الخطاب حتى يكون للتهديد والوعيد والإنذار أثر في قلوبهم، فيكون حالكم أيها الواقفون على هذه الآيات كحال من سبقكم وجزاؤكم مثل جزائهم (٣).

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيحًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۖ تَاللَّهِ لَشَأَلُكُمْ عَمَّا كُنتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: ٥٦). العدول تحقق هنا في قوله تعالى: (تالله لتسألن) بصيغة الخطاب، بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (ويجعلون، لا يعلمون، رزقناهم)، وكان من المألوف أن يقول: ليسألن، وبنظرة تدبرية بلاغية في هذه الآية نجد للإلتفات قيمته الدلالية والإيحائية وهي التوبيخ والتفريع والوعيد بالمواجهة لاتخاذهم الأصنام التي لا تعقل شيئا آلهة تُعبد من دون الله، وجعلهم لها نصيبا مما رزقهم الله، وأتى بالسؤال تفريعا وتوبيخا لهم، وتخويفهم بكيفية السؤال ووقته، حتى يرجعوا إلى الله بالتوحيد والعمل الصالح (٤).

٤. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَتَزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبِئًا بِهِ الْأَرْضَ بِعَدُ مَوْتِنَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسَبِّحُكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٥-٦٦). العدول في قوله تعالى: (إن لكم) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى في الآية السابقة: (لقوم يسمعون) وكان الأصل أن يقول: وإن لهم، لكنه سبحانه عدل من الغيبة إلى الخطاب لفائدة بلاغية يدرکها من كان لديه حس بلاغي وهي كمال العناية الإلهية بالمخاطبين بهذا النظم الكريم، فأسلوب الخطاب أبلغ في الأمر والنهي. وفي الآية دلالة على أن في الأنعام عبرة عظيمة ومنفعة جليلة توجب إخلاص العبادة لله عز وجل وحده (٥).

(١) ينظر: القُدومي: التفسير البياني، ص: ٢٣٣.

(٢) ينظر: السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٤٣٨.

(٣) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٧٩/١٤.

(٤) ينظر: الشوكاني: فتح القدير، ٢٠٣-٢٠٤. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٨١/١٤.

(٥) ينظر: طنطاوي: التفسير الوسيط، ١٨٣/٨. والبقاعي: نظم الدرر، ١٩٢/١١.

٥. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ رَبُّهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَغِيثُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٣-٧٤). العدول تحقق في قوله تعالى: (فلا تضربوا الله الأمثال) بصيغة الخطاب بعد صيغة الغيبة في الآية السابقة في قوله تعالى: (ويعبدون من دون الله - لهم - يستطيعون)، وهذا العدول له غرض بلاغي كما أسلفنا هو أنّ مواجهة أبلغ في الزجر والتأثير على النفوس في مقام الأمر والنهي والله أعلم(١).

وورد في بعض التفاسير(٢) وجود عدول من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (النحل: ٨٢) على أنّ العدول قصد في قوله تعالى: (فإنما عليك البلاغ) بصيغة الخطاب، بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (فإن تولوا)، وفي رأيي لا وجود للعدول هنا؛ لأنّ الضمير في تولوا يعود على الكفار، والضمير في عليك يعود على النبي (صلى الله عليه وسلم)، وكما قلنا في المطلب الأول من هذا البحث بأنّ الإتحاد في مرجع الضمير شرط من شروط العدول، ومن ثمّ فلا التفات هنا والله أعلم.

ثالثاً: العدول من الغيبة إلى التكلم

١. منه قوله تعالى: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: ٢). تحقق العدول هنا في قوله تعالى: (أنه لا إله إلا أنا... فاتقون) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (ينزل - من يشاء) فكان من المؤلف أن يقول: (أنه لا إله إلا هو - أو لا إله إلا الله... فاتقوه). ولو رجعنا إلى تفسير الآية لوجدنا سياق الآية يتطلب هذا العدول، فقد أفاد سرا بلاغياً هو حضور الذات الإلهية بضمير التكلم أبعث على خشية والتقوى، وأشدّ وقعا ورهبة في النفوس، وفي جلالته على وحدانية الله(٣).

٢. وفي نفس الآية: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: ٢). فضمير الغيبة هو الضمير المستتر (هو) في قوله: (ينزل)، وضمير المتكلم الملتفت إليه هو (أنا)، وبإزاء المتكلم المحذوفة تخفيفاً في (فاتقون)، والأصل (فاتقوني)، ففيها عدول من الغيبة إلى التكلم، وهذا العدول له غرض بلاغي هو إظهار أهمية التقوى؛ وذلك من خلال إرسال الرسل وإنزال الملائكة للإنذار والتخويف، ونهيبهم عن الاستعجال في طلب العذاب الذي وعدوا به، وأنه واقع لا محالة بدليل الآية السابقة ومجيئها بصيغة الماضي لتدل على تحقق الوقوع.

وهذا خلافاً لما جاء في بعض التفاسير(٤) من أنّ العدول من الغيبة إلى الخطاب في قوله (ينزل)، و(فاتقون)، وذلك أنّ ضمير المخاطب في قوله (فاتقون) وتقديره أنتم، فلا يصلح أن يكون ملتفتاً إليه؛ لأنه يعود على العباد، والضمير في (ينزل) يعود على الله، فلا التفات في هذا؛ لأنه يخالف شرطاً من شروط العدول هو الإتحاد في الضمير الملتفت عنه والملتفت إليه، والله أعلم.

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ الَّتِي يَحْتَضِرُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَمَّ كَلِمَاتِهِمْ كَلِمَاتٍ كَذِبِينَ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَكُونَ لَهُ كُنُفٌ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٣٩-٤٠) العدول في قوله تعالى: (إنما قولنا) بصيغة التكلم بعد قوله تعالى في الآية قبلها: (ليبين لهم) بصيغة الغيبة، والمتأمل في الآيتين يجد له لهذا العدول سرا بلاغياً وهو تعظيم أمر الخلق، وتهديد الكفار لتكذيبهم لما جاءت به الرسل وقد كانوا قبل ذلك في ضلال(٥).

(١) ينظر: القدومي: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: ١٤٩.

(٢) ينظر: القدومي: التفسير البياني، ص: ١٦٥. والواحدي: التفسير البسيط، ١٦٣/١٣.

(٣) ينظر: أبوحيان: البحر المحيط، ٣/٣٧٩. والشوكاني: فتح القدير، ٣/١٧٧. وأبو السعود: إرشاد العقل السليم، ٧/٣٩٩.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم، ٥/٩٦. والرازي: مفاتيح الغيب، ١٩/١٧٠. والسمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٧/١٨٩.

(٥) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ٦/٥٣٠. والقدومي: التفسير البياني، ص: ٨١.

٤. ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٢-٤٣) العدول تحقق في قوله تعالى: (وما أرسلنا) بصيغة التكلم بعد قوله تعالى في الآية السابقة (وعلى ربهم يتوكلون) بصيغة الغيبة وبنظرة تدبرية بلاغية لهذا العدول يتضح لنا أن الغرض البلاغي منه هو إعلاء شأن الرسل، والاهتمام بشأن المرسل إليهم^(١).

٥. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا طَلَبُوا لِنُبُوَّتِهِمْ فِي الذُّنُوبِ حَسَنَةً ۖ وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤١). جاء العدول في قوله تعالى: (لنبتوئهم) بالضمير العائد على الله بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (في الله)، بضمير الغيبة في لفظ الجلالة، والناظر في هذه الآية وسياقها يبدو له أن العدول جاء قصدا فيها بحيث طابق الكلام مقتضى الحال، وغرضه البلاغي هو تعظيم أمر الله، وتأكيد الوعد الحسن منه سبحانه وتعالى للمهاجرين في الدنيا بالنصر والتأييد وفي الآخرة بالفوز بالرضوان فقد أكده بقوله: ولأجر الآخرة أكبر، بشارة منه سبحانه وتعالى وما أعظمها من بشارة^(٢).

٦. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَإِذَا فَرَغْتُمْ مِنْ فِرَاقِهِمْ فَارْجِعُوا﴾ (النحل: ٥١) العدول في قوله تعالى: (فإياي) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (وقال الله..إنما هو إله واحد)، وكان الأصل أن يقول: (فإياه فارهبوه)، وفي هذا العدول نكتة بلاغية هي كمال الاعتناء بالأمر-التوحيد- والمبالغة في التخويف، فالمقام اقتضى هذا العدول؛ لأنَّ المواجهة في التحذير والتهديد والتخويف أبلغ من خطاب الغيبة، فقد أفادت الآية حصر الرهبة بالله سبحانه وحده، وهذا المعنى لن يتحقق بغير هذا العدول والله أعلم^(٣).

٧. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ۖ فَتَمَتَّعُوا ۚ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٥٤-٥٥). قصد العدول في قوله تعالى: (آتيناهم) بصيغة التكلم بعد قوله تعالى: (بربهم) بصيغة الغيبة، وكان الأصل أن يقول: بما آتاهم، وفيه غرض بلاغي هو الامتتان من الله بكشف الضر عن أولئك الذين أشركوا معه غيره في عبادته، لعلهم يرجعون أنفسهم ويرعون عن غيرهم وشركهم بالله سبحانه وتعالى، وهذه عادة الإنسان إذا نزل به ضر أو كرب تضرع إلى الله في كشفه^(٤).

٨. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَرَزَقْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النحل: ٦٣). تحقق العدول هنا في قوله تعالى: (لقد أرسلنا) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (تالله)، وقد كان من المألوف والمناسب للسياق أن يقول: لقد أرسل الله، لكنه (سبحانه) عدل عن أسلوب لآخر لفائدة يقتضيهما المقام وهي علو شأن إرسال الرسل، وتسلية (النبي صلى الله عليه وسلم) بعد تكذيب قومه له، وفي ضمنها وعيد لهم، وأن ما حملهم على التكذيب هو تزيين الشيطان لهم، وهذا المعنى لن يتحقق بغير هذا الأسلوب^(٥).

(١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤/١٦٠. وينظر: القدومي: التفسير البياني، ص: ٨٧.

(٢) ينظر: القدومي: سامي: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: ٨٣. وينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤/١٥٨.

(٣) ينظر: الألوسي: روح المعاني، ٧/٤٠٣. والشوكاني: فتح القدير، ٣/٢٠٢. وطنطاوي: التفسير الوسيط، ٨/١٦٧. والقاسمي: محاسن التأويل، ٦/٣٧٨. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤/١٧٤. والسمين الحلبي: الدر المصون، ٧/٢٣٦. وينظر: الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ص: ١٠٣.

(٤) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ٢٠/٢٢٢-٢٢٣.

(٥) ينظر: القدومي: التفسير القرآني للقرآن، ١٢٧. وابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب، ١٢/٨٦. وأبو حيان: البحر المحيط، ٦/٥٥٢. وطنطاوي: التفسير الوسيط، ٨/١٨٠.

٩. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَأَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٥-٦٦). حصل العدول هنا في قوله تعالى: (نسقيكم) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (والله أنزل... فأخبا)، ولعلنا نتساءل لماذا لم يأت السياق بقوله: يسقيكم مراعاة لسابقه، فلعل السبب في ذلك والله أعلم هو امتنان الله على عباده بهذه النعمة -نعمة اللبن ومراحل تكونه، كما يفيد العدول تفرده سبحانه وتعالى بالألوهية والوحدانية، وقدرته على تحويل الأجسام من حال إلى حال، ولا يخفى على أدنى متأمل عدم تحقق هذا المعنى بغير أسلوب العدول (١).

١٠. ومنه قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يُدِيرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ زَرَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۚ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ اللَّهُ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥) فقد تحقق العدول هنا في قوله تعالى: (زرقناه) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (ضرب الله مثلا)، وكان مقتضى السياق أن يقول: رزقهم، والغرض البلاغي لهذا العدول هو الإشعار باختلاف حالي ضرب المثل بالعبد المملوك والرزق (٢).

١١. ومنه قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (النحل: ٨٣-٨٤). تحقق العدول في قوله تعالى: (يوم نبعث من كل أمة) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (يعرفون نعمته الله)، وكان الأصل أن يقول: يوم يبعث الله، فالتقت إلى التكلم؛ لإقادة عظم شأن البعث، الذي يدل على تفرده سبحانه وتعالى به، ففيه تهديد ووعيد للكفرة على إنكارهم للبعث خصوصا مع وجود الشهيد وهم الأنبياء من كل أمة يشهدون عليهم (٣).

١٢. ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۚ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٨-٨٩). جاء العدول في قوله تعالى: (زدناهم) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (وصدوا عن سبيل الله)، وكان المؤلف أن يقول: زادهم الله، والغرض من هذا التحول هو إظهار شدة الغضب ومضاعفة العذاب لهم نتيجة لكفرهم وصددهم الناس عن اتباع الدين الحق، وسلوك سبيل الله (٤).

١٣. ومنه قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۚ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٦). فالعدول هنا في قوله تعالى: (ولنجزيهم) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (وما عند الله)، فيه غرض بلاغي هو العناية وتأكيد الوعد من الله سبحانه وتعالى بمجازاة الصابرين الذين صبروا عن الشهوات وعن مكاره الطاعات بأحسن ما كانوا يعملون (٥).

١٤. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَاتَّبَعْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۚ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (النحل: ١٢٠-١٢٢). نلاحظ في هذه الآية عدول في قوله تعالى: (واتبنا) بصيغة التكلم بعد صيغة الغيبة في قوله تعالى: (اجتباها وهداه)، وكان مقتضى السياق القول: وأتاه، لكنه (سبحانه) عدل؛ لنكتة بلاغية يريد إفهامها لكل واقف على هذه الآية وهي تنبيه السامع لأهمية ما سيقال، وقد يفيد هذا العدول غرضا بلاغيا آخر

(١) ينظر: القاسمي: محاسن التأويل، ٣٨٨/٦. والقُدومي: التفسير القرآني للقرآن، ٣١٨/٧.

(٢) ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ١٢٩/٥.

(٣) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ٢٠/٢٥٥.

(٤) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤١٥/٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ٤١٩/٣.

هو تعظيم شأن ومكانة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتحبيبه إلى الخلق جميعا فكل أهل الأديان يقرون به، فقد قام عليه السلام بجميع ما أمر به، كما جاء في آية أخرى: {وإبراهيم الذي وفى} (النجم: ٣٧) (١).

رابعاً: العدول عن التكلم إلى الغيبة

١. منه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّقَلِيهِ الضَّلَالَةَ ۗ فَسَيزِرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ (النحل: ٣٦). جاء العدول بصيغة الغيبة في قوله تعالى: (هدى الله) بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: (ولقد بعثنا)، وهذا العدول له غرض بلاغي هو إقامة الحجة على من صرف شيئاً من العبادة لغير الله، بعد تبليغ الرسل (٢).

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ۚ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۚ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (النحل: ٥١) العدول في قوله تعالى (وله) ما في السموات والأرض) بصيغة الغيبة (وله) بعد صيغة التكلم (فإياي) ومقتضى السياق أن يكون -ولي ما في السموات- فالعدول هنا أقوى للدلالة على أن الله له ملك السموات والأرض فهو الخالق والمالك وحده وما سواه مخلوق محتاج له. يقول أبو حيان: "تم التفتت من التكلم إلى ضمير الغيبة فأخبر تعالى أن له ما في السموات والأرض لأنه لما كان هو الإله الواحد الواجب لذاته كان ما سواه موجوداً بإيجاده وخلقه" (٣).

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤-٦٥) قصد العدول في قوله تعالى: (والله أنزل) بصيغة الغيبة بعد قوله تعالى: (وما أنزلنا) بصيغة التكلم، وكان مقتضى السياق أن يقول: وأنزلنا من السماء، لكن الملاحظ أن لهذا العدول وجه بلاغي قصده منزل الكتاب هو تنشيط ذهن السامع، وتنبيه عباده وإرشادهم إلى حجج الألوهية وأنها لا تنبغي إلا له. فجاء الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، إذ إن هذه الآية الباهرة (إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض بعد موتها) علامة دالة على وحدانية الله وعلى بعثه الخلق ومجازاتهم (٤).

٤. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۗ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ الْبَيِّنَاتِ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَتَيْبَةِ عَنِ الْفُحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ...﴾ (النحل: ٨٩-٩٠) العدول هنا في قوله تعالى: (إن الله يأمر) بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: (ويوم نبعث- وجئنا- ونزلنا عليك الكتاب)، وكان الأصل أن يقول: إنا نأمر، و من فسر العدول في هذه الآية بكلمة التوحيد شهادة ألا إله إلا الله، ولا يقوم مقام هذه الكلمة إلا إظهار لفظ الجلالة الله، وقيل: الإنصاف الذي لا يقبل عمل بدونه؛ ويظهر لي أن القولين معناهما واحد، أي المراد منهما كلمة التوحيد فهي أصل لقبول الأعمال، ولهذا جاء الخطاب القرآني بإظهار لفظ الجلالة لإفادة هذا المعنى والله أعلم (٥).

٥. ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧) فالعدول تحقق هنا في قوله تعالى (وليجزيهم)، على قراءة نافع بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: (فلنحيينه)

(١) ينظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ١٤٩/٥. وابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٦١١/٤. والطبري: جامع البيان، ٣١٩/١٧. والقدمي: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: ٢٤٥.

(٢) ينظر: البقاعي: نظم الدرر، ١٥٨/١١.

(٣) البحر المحيط، ٥٤٤/٦.

(٤) ينظر: الطبري: جامع البيان، ٢٣٦/١٧. والشوكاني: فتح القدير، ٢٠٨/٣.

(٥) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ٢٦٠/٢٠. وابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤١٦/٣. وأبو حيان: البحر المحيط، ٥٨٧/٦. والبقاعي: نظم الدرر، ٢٣٥/١١.

حياة طيبة)، فهذا العدول فيه فائدة بلاغية وهي البشارة للصابرين وتذكيرهم بأن الله هو الناهي والواعد، والمجازي على امتثال أوامره ونواهيه (١).

٦. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ١٠١) العدول تحقق في قوله تعالى: (والله أعلم بما ينزل) بصيغة الغيبة بعد صيغة التكلم في قوله تعالى: (وإذا بدلنا آية)، وكان الأصل أن يقول: وأنا أعلم متابعة لسابق السياق في أول الآية، لكنه عدل من التكلم إلى الغيبة لإفادة بلاغية يحسن ذكرها وتحققها في الآية وهي تربية المهابة في نفوس المشركين وتوبيخهم على فساد رأيهم، وتذكيرهم بإحاطة الله الشاملة، وأنه الإله الحق الذي يجب أن يُعبد (٢).

الصورة الثانية للعدول: العدول في الصيغ: ونعني به اختلاف الصيغ في السياق القرآني الواحد، كالمخالفة بين صيغ الأفعال، وصيغ الأسماء، وغيرها. يقول ضياء الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ): "علم أيها المتوشح لمعرفة البيان أن العدول من صيغة الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفاثتهما" (٣). فكلام ابن الأثير يدل على أن هذه الصورة من صور العدول دقيقة جدا وليس لأحد إدراكها إلا بمعرفته علوم البلاغة جميعها، وإتقانه إياها. وسأذكر هنا ما جاء في سورة النحل على شاكلة هذه الصورة، أستجلي منها أغراضا بلاغية تعين على فهم تفسير آياتها على الوجه الصحيح.

١. منه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ۚ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ۚ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٢٨). فالعدول هنا بين الفعلين: (تتوفاهم) و(ألقوا)، أحدهما بصيغة المضارع والآخر بصيغة الماضي، فجاء بصلة مضارعة في بداية الآية للدلالة على هول الخزي والعذاب يوم القيامة على الكافرين، الذين تنزع الملائكة أرواحهم من أجسامهم وهم ما زالوا باقين على الكفر والشرك دون أن يتوبوا منهما. وأما صيغة الماضي فتفيد ما صار إليه حال هؤلاء المستكبرين من ذلّ وخضوع واستسلام في الآخرة، بعد أن عاينوا العذاب حقيقة، وقد كانوا مغترين متكبرين بالدنيا، فالماضي هنا أفاد تحقق وقوع ما توعدوا به (٤).

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٤٢).

عدل الأسلوب القرآني في هذه الآية من صيغة الماضي في قوله تعالى: (صبروا) إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: (يتوكلون) ومن يتأمل في هذه الآية يجد لهذا العدول دلالاته وغرضه البلاغي الذي لا يتحقق بغير أسلوب العدول. يقول ابن عاشور: "والتعبير في جانب الصبر بالمصي وفي جانب التوكل بالمضارع إيماء إلى أن صبرهم قد أذن بالانقضاء؛ لانقضاء أسبابه، وأن الله قد جعل لهم فرجا بالهجرة الواقعة والهجرة المتوقعة، فهذه بشارة لهم، وأن التوكل ديدنهم؛ لأنهم يستقبلون أعمالا جليلة تنم لهم بالتوكل على الله في أمورهم، فهم يكررونه، وفي خذا بشارة بضمان النجاح" (٥).

(١) ينظر: الألويسي: روح المعاني، ٤٦٤/٧. وابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٢/١٤. وطنطاوي: التفسير الوسيط، ٢٣٠/٨. وينظر: ابن خالويه:

الحجة في القراءات السبع، ص: ٢١٣.

(٢) ينظر: الألويسي: روح المعاني، ٤٦٦/٧. والقاسمي: محاسن التأويل، ٤٠٩/٦. والزحيلي: التفسير المنير، ٢٣٠/١٤.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١٤٥/٢.

(٤) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ٥٢٣/٦. وينظر: طنطاوي: التفسير الوسيط، ١٣٧/٨.

(٥) التحرير والتنوير، ١٥٩/١٤-١٦٠.

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ ۖ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). فالعدول هنا تحقق من صيغة الماضي في قوله تعالى: (وما أرسلنا) إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: (نوحى إليهم)، فالآية جاءت في سياق التأكيد على عادة الله في إرسال الرسل، فناسب المقام مجيئه بصيغة الماضي ليدل على تحقق وقوعه، أما قوله تعالى: (نوحى) بصيغة المضارع ليفيد بأن ما يبلغونه هؤلاء الرسل إلى أقوامهم من وحي ونصائح وتوجيهات وقيم وعبادات وتشريعات هي وظيفتهم الأساسية التي يرسلوا من أجلها. كما أنه استعمل فعل الإرسال بصيغة الماضي للدلالة على وقوعه مرة واحدة، ثم عدل إلى صيغة المضارع مع فعل الإيحاء للدلالة على استمرار الإيحاء وتكرره وتجده زما بعد زمن.

٤. ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۗ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩). العدول في هذه الآية قصد في قوله تعالى: (وجئنا بك) بصيغة الماضي، بعد صيغة المضارع في قوله تعالى: (ننبئ)، لغرض بلاغي يقتضيه السياق هو ما ذكره ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية إذ قال: لما كان بعث الشهداء للأمم الماضية مرادا به بعثهم يوم القيامة عبر عنه بالمضارع... واختير لفظ الماضي في (جئنا) للإشارة إلى أنه مجيء حصل من يوم بعثته (١).

٥. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (النحل: ٩٩). عدل الأسلوب القرآني في هذه الآية من صيغة الماضي في قوله تعالى: (آمنوا)، إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: (يتوكلون)، وبنظرة تدبرية تفسيرية لهذه الآية ندرك سر هذا العدول بتلويين طرق الكلام، وهو أن مجيء الفعل آمنوا بصيغة الماضي للدلالة على أن الإيمان استقر في القلب، وقضى أمره، أما التوكل فهو ثمرة من ثماره، فجاء بصيغة المضارع في (يتوكلون) لإفادة تجدد التوكل واستمراه (٢).

٦. ومنه قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِلُغَتِهِمْ ۚ هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥). فالعدول في هذه الآية جاء بصيغة اسم الفاعل في قوله تعالى: (وهو أعلم بالمهتدين) بعد صيغة اسم الموصول في قوله تعالى: (هو أعلم بمن ضل)، والغرض البلاغي لهذا العدول هو الدلالة على أن الضلال أمر حادث على الفطرة، فالناس يولدون على فطرة الله موحدون، أما الهداية فهي الأصل، ولا يخفى ما يتضمنه التعبير عنها بالاسم من معاني على خلاف ما لو أتى بالفعل، وفي هذا تزكية للمؤمنين (٣).

الصورة الثالثة: العدول في الجمل (العدول النحوي)

١. منه قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ١٢). فالعدول جاء هنا في قوله تعالى: (النجوم مسخرات) بالجمله الاسمية بعد قوله تعالى: (سخر) بالجمله الفعلية لنكتة بلاغية ذكرها ابن عاشور في تفسيره فقال: "ونكتة اختلاف الأسلوب في الفرق بين التسخيرين من حيث إن الأول واضح والآخر خفي؛ لقلة من يرقب حركة النجوم" (٤).

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١٠٠). فالعدول جاء في قوله تعالى: (هم به مشركون) بصيغة الجمله الاسمية بعد قوله تعالى: (يتولونه) بصيغة الجمله الفعلية، ليؤدي غرضا بلاغيا مناسباً للمعنى، ومراعياً للمقام، هو أن التعبير بالفعل في قوله: (يتولونه) بدل على تجدد التولي للشيطان على مر الأيام، والتبنيه على أنهم كلما تولوه بالميل إلى طاعته تمكن منهم سلطانه، وأنه إذا انقطع التولي بالإقلاع أو بالتوبة انسلخ سلطانه عليهم (٥). فآثر

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٢٥١/١٤.

(٢) ينظر: القدومي: التفسير البيان لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: ١٩٩. وينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٨/١٤.

(٣) ينظر: القدومي: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: ٢٥١.

(٤) التحرير والتنوير، ١١٦/١٤.

(٥) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٩/١٤ والقدومي: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: ٢٠١.

الأسلوب القرآني كل مقام بما هو أجدر به، وعليه فالمعاني التي ذكرناها ما كانت لتتحقق بغير أسلوب العدول. والعدول إلى الجملة الاسمية للدلالة على أن شركهم صفة ثابتة فيهم لا تزول عنهم.

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨). ففي الآية عدول من الجملة الفعلية في قوله تعالى: (اتقوا) إلى الجملة الاسمية في قوله تعالى: (هم محسنون)، ومن يتأمل في الآية يدرك سر هذا العدول، فالتقوى ذكرها بصيغة الفعل للإشارة إلى لزوم حصولها، وتقررها من قبل، فهي من لوازم الإيمان، بينما الإحسان ذكره بالجملة الاسمية؛ إشارة منه سبحانه وتعالى إلى كون الإحسان ثابتاً (١). كما أن هذا العدول يحقق قيمة جمالية إيقاعية هي الاتفاق في حرف (نون) في آخر الاسم (محسنون)، مع فواصل الآي السابقة واللاحقة، ولو أنه قال: والابن أحسنوا لفانت هذه القيمة الجمالية الصوتية.

الصورة الرابعة: العدول العددي

١. منه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (النحل: ٤٨). العدول في هذه الآية تحقق من الأفراد في قوله تعالى: (عن اليمين) إلى الجمع في قوله تعالى: (والشمائيل)، وعدول الأسلوب القرآني بهذه الطريقة له معنى بلاغي ذكره ابن عاشور بقوله: "وأفرد اليمين؛ لأن المراد جنس الجهة كما يقال المشرق، وجمع الشمائيل مراداً به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد أصحابها، فالمخالفة بالأفراد والجمع تفنن" (٢).

٢. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۚ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِئَآ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦). جاء العدول في قوله تعالى: (مما في بطونه) بأفراد الضمير وتذكيره في بطونه، بعد صيغة الجمع في قوله تعالى: (وإن لكم في الأنعام)، وهذا العدول له دلالة بلاغية هي عود الضمير على معنى النعم، وقد يعود الضمير على الحيوانات فيكون المعنى: أي نسقيكم مما في بطن هذه الحيوانات (٣). وقيل إن العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد، فنقول هو الأنعام وهي الأنعام، أي أن اللفظ يذكر ويؤنث كما ذكر الزجاج، وقال الكسائي: معناه مما في بطون ما ذكرنا فيعود الضمير على مذكور (٤).

٣. ومنه قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ لَئِ لَا يَسْتَوُونَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۖ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٧٥). تحقق العدول في قوله تعالى: (هل يستون) بصيغة الجمع بعد صيغة المفرد بداية الآية في قوله تعالى: (ومن رزقناه)، وهذا العدول له غرض بلاغي ذكره بعض المفسرين في تفاسيرهم، منهم ابن عاشور إذ قال: "وإنما جاءت صيغة الجمع في قوله: (هل يستون) مراعاة أصحاب الهيئة المشبهة؛ لأنها أصنام كثيرة كل واحد منها مشبه بعبد مملوك لا يقدر على شيء، فصيغة الجمع هنا تجريد للتمثيلية، أي هل يستوي أولئك مع الإله الحق القادر المتصرف" (٥).

(١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٣٨/١٤.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦٩/١٤.

(٣) ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٥٨٠/٤.

(٤) ينظر: الشوكاني: فتح القدير، ٢٠٨/٣.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٢٦/١٤-٢٢٧.

٤. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨).
في هذه الآية عدول من الإفراد في قوله تعالى: (السمع) إلى الجمع في قوله تعالى: (والأبصار)، فأفرد السمع؛ لأنه مصدر يدل على جنس الموجود في حواس الناس، والمصادر لا تجمع، أما الأبصار فجمعت؛ لأنها أسماء (١).
٥. ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

العدول في قوله تعالى: (ولنجزيهم) بصيغة الجمع، بعد قوله تعالى: (فلنحيينه) بصيغة الإفراد، وجاء العدول لغرض بلاغي هو مراعاة لمعنى الاسم الموصول (من) فناسبه الجمع ليدل على العموم، بينما جاء الضمير مفردا في قوله (فلنحيينه) مراعاة للفظ الاسم الموصول (من) (٢).

وهذا العدول في العدد من الإفراد إلى الجمع له دلالة بلاغية هي إعطاء المفرد حكم الجمع والعكس صحيح.
٦. ومنه قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢).

جاء العدول في صيغة الإفراد على اعتبار الجهة وهي القرية، والجمع على اعتبار ساكنيها، فالطمأنينة والأمن وإتيان الرزق حقيقة لأهلها لا لها، ولهذا ختمت الآية بصيغة الجمع (بما كانوا يصنعون) ولم يقل بما صنعت.
نلاحظ في سياق الآية: الإفراد والجمع، كما نلاحظ استعارتان توضحان سبب العدول من الإفراد إلى الجمع في قوله تعالى: (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) تكلم عنها الزمخشري بقوله: "الإذاعة واللباس استعارتان فما وجه صحتها؟ والإذاعة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه؟ قلت: أما الإذاعة فقد جرت مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البيؤس والضرر، وإذاعة العذاب، شبه ما يدرك من أثر الضرر والإثم بما يدرك من طعم المر، وأما اللباس فقد شبه على اللباس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاعة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة عما يغشي منها ويلابس فكأنه قيل: فأذاقهم ما غسيهم من الجوع والخوف" (٣).

خاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

تم بحمد الله هذا البحث المتواضع، وأسجل في خاتمته بعض النتائج التي توصلت إليها كما يأتي:
١. لأسلوب العدول أهمية كبيرة في التفسير والترجيح بين المعاني المختلفة، لاختلاف المعاني والدلالات باختلاف صيغ الخطاب القرآني.

(١) ينظر: ابن عاشور: المصدر نفسه، ١٥٦/١٤. والزمخشري: الكشاف، ٥٣/١.

(٢) ينظر: القدومي: تفسير سورة النحل، ص: ١٩٥.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ٦٣٩/٢.

٢. إنّ الألفاظ القرآنية وضعت وضعاً بلاغياً دقيقاً، لذا يجب مراعاة ما ظاهره مخالف للسياق داخل السياق القرآني في الآيات والسور للوصول إلى المقصد القرآني.
٣. أسلوب العدول فن بلاغي كثر شيوعه في القرآن عموماً وفي سورة النحل خصوصاً؛ لدلالته على الإبداع وهذا يؤكد إعجاز القرآن اللغوي والبلاغي.
٤. من بين أكثر صور العدول وروداً في سورة النحل التفات الضمائر؛ لأن القرآن الكريم خطاب بالدرجة الأولى، لهذا تنوعت أساليبه، كما أن هذا الانتقال لا يكون إلا لغاية يقتضيها السياق، ولهذا تعددت أغراضه البلاغية. ولم تكن هذه الصورة هي الوحيدة المميزة للعدول في هذه السورة بل جاءت صور أخرى: كالعدول في الصيغ، والعدول في الجمل، والعدول في العدد.
٥. تنوعت صيغ التفات الضمير في سورة النحل وقد لوحظ أنّ أكثر الصيغ تكراراً هي: الالتفات من الغيبة إلى التكلم فقد وردت حوالي أربع عشرة مرة، مقارنة بالصيغ الأخرى إذ وردت من ثمان إلى ست إلى خمس.
٦. تنوع صيغ العدول في سورة النحل من التفات الضمائر إلى العدول في الصيغ، والعدول في الجمل (العدول النحوي) وأخيراً العدول العددي.
٧. من خلال تقصي سياق الآيات القرآنية في سورة النحل لاحظت تعدد الاعتبارات الداعية إلى العدول عن مقتضى الأصل ومن أهمها: تلوين طريقة الكلام، قصد تنشيط ذهن السامع وجعله أكثر إصغاء للكلام.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة-القاهرة، د.ط، د.ت.
٢. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد: الجامع الكبير في في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق: مصطفى جواد، مطبع المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ.
٣. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبدالله (المتوفى: ١٢٧٠هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٤. امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي(ت: ٥٤٥م): ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبدالرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٥. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد(المتوفى: ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٦. البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن(المتوفى: ٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ط، د.ت.
٧. البناء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي(المتوفى: ١١١٧هـ): إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية - لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
٨. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٩. التهانوي، محمد بن علي(ت:١١٥٨هـ): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان-بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٠. الثعالبي، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل عبد المحمود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١١. حسن، طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
١٢. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي (المتوفى: ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميلين دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١٣. ابن خالويه، الحسين بن أحمد (المتوفى: ٣٧٠هـ): الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١هـ.
١٤. الخطيب، عبدالكريم يونس (المتوفى: ١٣٩٠هـ): التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
١٥. الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين (المتوفى: ٦٠٦هـ): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله حاجي، دار صادر، بيروت-لبنان ط١، ٢٠٠٤م.
١٦. الزحيلي، وهبة بن مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.
١٧. الزركشي، أبو عبدالله بدرالدين محمد (المتوفى: ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، د.ط، د.ت.
١٨. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧هـ.
١٩. السعدي، عبدالرحمن بن ناصر (المتوفى: ١٣٧٦هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٠. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢١. السيوطي، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت.
٢٢. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٥٥م.
٢٣. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (المتوفى: ١٢٥٠هـ): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٤. صافي، محمود بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٧٦هـ): الجدول في إعراب القرآن الكريم، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.
٢٥. الصاوي الجويني، مصطفى: البلاغة العربية، تأصيل وتجيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
٢٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٧. طنطاوي، محمد سيد جوهرى: التفسير الوسيط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة-القاهرة، ط١، د.ت.

٢٨. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (المتوفى: ١٣٩٣هـ): «التحرير والتنوير» تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ.
٢٩. أبو العدوس، يوسف: البلاغة والأسلوبية، الأصلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٧م.
٣٠. ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣١. القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد (المتوفى: ١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
٣٢. القدومي، سامي وديع عبدالفتاح شحادة: التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، دار الوضاح الأردن - عمان، د.ط، د.ت.
٣٣. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (المتوفى: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وأحمد أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٨هـ/١٩٦٤م.
٣٤. القزويني، محمد بن عبدالرحمن بن عمر (المتوفى: ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط٣، د.ت.
٣٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (المتوفى: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٣٦. ابن المعتز، عبدالله بن محمد: البديع، ببرت - دار الهجرة، ط٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٣٧. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (المتوفى: ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
٣٨. هنداوي، عبدالحميد أحمد يوسف: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، د.ط، ببرت، ٢٠٠٢م.
٣٩. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (المتوفى: ٤٦٨هـ): التفسير البسيط، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- الرسائل العلمية:
١. الحمادي، جلال عبدالله محمد سيف: العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية، رسالة ماجستير، إشراف: أ.د/ عباس السوسوة، كلية الآداب - قسم اللغة العربية، جامعة تعز، اليمن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.